عالمية القرآن بين الكون والإنسان –دراسة تحليلية

د. عبد المُحسن عليّ القيسيّ
كلية اللغات _ جامعة
المدينة العالمية / ماليزيا

المقدمة :

تأتي أهمية هذه المقالة في خضم الأحداث العالمية التي تحيط الإنسان من كل جوانبه، والمسلم معنيٌ بها أكثر من غيره لأنَّه من الأُمَّة الوسط؛ لمواجهة تلك الأحداث، ولأنَّ القرآن الكريم كتاب عالمي أبدي خالد يدعو إلى الوسطية التي تتمتع بمنظومة أخلاقية متكاملة، فنلجأ إليه لنجده قد أحصى كل شيء وذكر مبادئ العلوم، ولقد استوعب القرآن الكريم العصور الأُولى والوسطى ولا يزال غضاً طرياً وكنزاً بحاجة لمن يعيد اكتشافه من جديد؛ ويزداد القرآن الكريم إشراقاً وحيوية يفيد منه العلماء على تنوع مشاربهم العلمية والمعرفية، لهذا تبوأ مقعد صدق في الضمائر المؤمنة الحيّة، تستلهم هدايته وتستسيغ عبيره وأريجه، فليس هناك غرابة أنْ يجتمع فيه تأصيل كل الأغراض والديني واحد منها تحقيقاً لقوله تعالى ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣٨].

إنَّ الهدف من هذه المقالة هو الكشف عن عالمية القرآن الكريم من خلال العلاقة الجدلية بين الإنسان الذي جعله الله تعالى خليفته والكون الذي صيّره الله من لوازم حياة الإنسان في الحياة الدنيا، فالكون والإنسان هما الضلعان الذهبيان لرُقي البشرية وسعادتها، وكذلك برهنة صلاحية القرآن الكريم للبشرية على مر العصور ورد الدهور.والقرآن الكريم كلام الله الذي أنزله ليعمل به ويكون منهاج حياة للناس، ولا شك أنَّ قراءته تعدُّ قربة وطاعة من أحب الطاعات إلى الله تعالى، لكن مما لا شك فيه أيضا أنَّ القراءة بغير فهم ولا تدبر ليست هي المقصودة، بل المقصود التعمّق في فهم معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله، والتوصل لكشف أسراره وحِكَمه.وكذلك فهناك ضرورة في دراسة الكون، قد نوّه بها الدين الإسلامي الحنيف إذْ أمرنا بالتدبر والتمعن في الكون، وأنَّ الدراسات العلمية في الكون هي تمعن حقيقي في صنع الله وبديع خلقه، وليس من التأمل على سبيل المثال أنْ نرى أشكالاً مختلفة للقمر، دون أنْ نتمعن في تكوينه، وكذلك الأمر في ما يتعلق بالكواكب الأخرى.

ولم يكن من الممكن أنْ نستمتع بثمار الاختراعات الحديثة دون هذه الدراسات المرتبطة بعلوم الكون، ولن تكون هناك وسيلة لنقل الصوت أو الصورة بين قارات العالم المختلفة، في ذات اللحظة، وغيرها من منجزات التكنولوجيا المعاصرة، في حال غياب تلك الدراسات.[2]وكما أسلفتُ ستعمل المقالة

د. عبد المُحسن عليّ القيسيّ

على الكشف عن عالمية القرآن من خلال الربط بين الكتاب المقروء (القرآن) وبين الكتاب المنظور (الكون) فلقد جاء في الذكر الحكيم آياتٌ مبيّنات تصف خلق الإنسان وتعليمه كقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن: الآيات١-٤] والسؤال لماذا خلقه؟ والجواب ليجعله خليفة في الأرض، وما الوظيفة المكلف بها ذلك الإنسان؟ هي السعي في الأرض واكتشاف مكنوناتها وعمارتها ومن ثم استثمارها. وخلق الله تعالى الكون وما فيه لسعادة الإنسان الذي فضله على كثير ممن خلق، كما جاء في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء: الآية ٧٠] وهذا شبيه باستغلال الإنسان للدواب والآلات، فهي أقوى منه وأسرع، لكنه أدهى وأشطر وجعله الله سيداً لتلكم المخلوقات. وهناك مخلوقات كامنة بين بُعْدَي الكون (السماء والأرض) أرادها الله تعالى أنْ تكون باعثاً للإنسان على السعي الحثيث وتحفيزه على اكتشافها واستثمارها؛ وقد تكررت الإشارة إليها في عدة مواضع من القرآن الكريم[3] بصيغة ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الفرقان: الآية ٥٩]. فهذه العبارة أفادت معنى قانون الجاذبية؛ ذلك القانون العجيب الذي نوّه عنه علماء الكون ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: الدكتور حميد مجول النعيمي؛ والدكتور زغلول النجار، والدكتور علي منصور كيالي، والدكتور فاروق الباز والدكتور نضال قسوم، وآخرون. نفهم من سياق الآيات التي اشتملت على ذكر تلك المخلوقات تنويها وتلميحاً بعبارة (وما بينهما) أنَّ هناك خلقا يفصل بين الأرض والسماء الدنيا وبين السماء الدنيا والتي تليها وهكذا؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مائة عام وبين كل سماء خمس مائة عام[4]؛ فالأثر يدل على وجود مخلوقات بين السماء والأرض؛ وكذلك وجود مسافة بين السماء الدنيا والأرض؛ فهل هذه المخلوقات هي التي تحدث عنها العلماء الذين ذكرنا بعض أسمائهم الكريمة، لاسيما أنَّ هناك بعض الأمور ظهرت في الحقب المتأخرة لم يعلمها السابقون مما يجعلهم يفسرون ما ظهر لهم مثل قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ٨] وكذلك في قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [سورة الحديد: الآية ٢٥] جاء في ذكر هذا الأمر أنه ثبت علمياً نزول الحديد بأشبه ما يكون بالرذاذ وبنسب مختلفة، نعم لقد ذكر بعض العلماء الذين تناولوا موضوع تلك المخلوقات فوصفوها بالجاذبية والثقوب السوداء؛ ولقد أكدتْ معطيات عصرنا الراهن صدق هذا الكلام وبالنظريات وبراءات الاختراع العلمي، وتقدم علم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إذْ أماطت تلك الدراسات والتوصلات اللثامَ عن تلك المخلوقات والتي منها: نظام الجاذبية[4] (Gravity) فشبكات الاتصالات توظف المجال الافتراضي من خلال الإلكترونات، فإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فلا مناص من الرجوع لكتابنا العالمي والتسليم لما جاء فيه، ولنتصور ولنتخيل معاً أنَّ الكون

الذي استخلف الله تعالى الإنسان ليعمره ولينتفع بذلك العمار على الأرض وما فيها؛ أقول لنتصور ولنتخيل أنه (الكون) ورشة كبيرة أو آله عظيمة تحتاج إلى دليل (Catalogue) فالقرآن الكريم "إنْ صح التعبير" هو ذلك الـ(Catalogue) والتطور الحاصل والذي سيحصل ما هو إلا مصداق قوله تعالى في آيتين من كتابه العزيز ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت: الآية ٥٣] والآية الثانية في قوله تعالى ﴿وقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النمل: الآية ٩٣].

المحور الأول: الإنسان في البُعد العالمي للقرآن الكريم.

وبداية ومن البداهة بمكان علينا أنْ نسأل القرآن الكريم عن تلك العالمية؛ فنقرأ سورة الفاتحة في كل ركعة وكل يوم خمس صلوات ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: الآية١] والعالمين جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى من الإنس والجن والملائكة وسائر المخلوقات، والرب هو مربيهم ومالكهم ومدبر أمورهم والعلم: هو إدراك الشيء بحقيقته، والعَالَم (Cosmos) [5] هنا الكون كما جاء في معاجم اللغة[6]؛ والحمد لله جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى: مالك لجميع الكون والموجودات من الإنس والجن والملائكة والدواب وغير ذلك، وكل منها يسمى عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن وغلب في جمعه بالياء والنون أولي العلم على غيرهم، وهو من العلامة لأنه علامة على موجده[7]. وهذا القرآن العالمي يستلزم نبي عالمي يتصف بمواصفات عالمية فنجد ذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية١٠٧]. وتشير معاني عالمية القرآن الكريم إلى مناحي إعجازه وألوانها؛ فهو معجز في بلاغته، معجز في ترابطه وتماسكه، معجز في تشريعاته وهدايته، معجز في علومه ومعارفه، معجز في غيوبه وأسراره[8]، إنه روح من الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [سورة الشورى: الآيتان ٥٢-٥٣]. ومن لوازم برهنة عالمية القرآن الكريم الاهتمام بالإعجاز العلمي الذي هو ملك للجميع لا يحتكره نفرٌ دون الآخر والذي من خلاله أذعن بعض أساطين العلوم؛ ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: العالم الفرنسي موريس بوكاي فهو لم يذكر الإعجاز صراحة ولكن كلامه يؤدي إليه حكماً، والفكرة المستمدة من كتابه؛ هي أنَّ القرآن صحيح سالم من التبديل والتحريف وأنه منزل من عند الله تعالى لما فيه من مقولات علمية لم تكن معلومة زمن النبي محمد عليه الصلاة والسلام وعرفت في عصرنا، وأنَّ كل ما فيه من مقولات علمية لا تتناقض مع العلم الحديث، وهو لا يشذ مطلقاً عن المنهج العلمي، ولا يبالغ، ويحسن تذوق الألفاظ القرآنية، ويختار من معانيها ما يتفق مع معطيات العلم الحديث، وهو يرى أنه لا يستطيع أنْ يفهم القرآن على حقيقته في مقولاته العلمية إلا من استطاع أنْ

د. عبد المُحسن عليّ القيسيّ

يجمع بين العلم والذوق اللغويين وبين الثقافة العلمية الحديثة؛ كما أنه يرى بأنَّ القرآن وحده دون التوراة والإنجيل؛ هو وحده الذي تتفق جميع مقولاته العلمية مع مقررات العلم الحديث فهو يحدد هذه المقررات والتي يسلم بأنَّها حقائق لكل ما ثبت بشكل نهائي أو بشكل كافٍ لعدم الوقوع في الخطأ[9]. كما أن عالمية القرآن الكريم تتواتر في إطار اهتماماته القصوى بالإنسان، فهو يتابعه ويلاحقه منذ خلقه وتكوينه وولادته حتى حياته ومعاشه إلى حين وفاته ومدفنه ونشره وحشره وعاقبته، ومعنى هذا أنَّ القرآن الكريم يهتم بمسيرة الكائن الانساني منذ البداية وهو معنيٌّ أيضاً بمصير المجتمع الإنساني حتى النهاية، كيف لا وقد استخلفه الله تعالى في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: الآية ٣٠].وفي تأمل خلق الإنسان وإيجاده خليفة في الأرض وقفتان، فالأولى: الإبداع في التكوين الخلقي من تراب الأرض، كخلق آدم عليه السلام؛ والملاحظة الثانية الفسيولوجي في الخلق عن طريق التكاثر، وبين هاتين البرائتين قد اختصرت الحقيقة التكوينية كلها؛ قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾ [سورة ص: الآية ٧١] وقال تعالى متحدثاً عمّا تحقق ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٢] فبيّن تعالى الأصل في الخلق من الطين[10] وهو البداية الأولى لهذا المخلوق المتباعد الأطراف في التركيب والتكوين والتأسيس بما يستوعبه هذا الكلي العام من جبلات كثيرة[11] والذي ذكره تعالى بقوله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة: الآيات ٧-٩] تتحدث الآية الأُولى عن الإبداع في الخلق العجيب الغريب على أوساط الملائكة والجن، قال تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان: الآية ١] فخلق الإنسان جسد وروح، أي أنه مركب من حقيقتين متغايرتين، وحينما اتحدا كان الإنسان كائناً حياً، فإذا افترقا كان هذا الإنسان نفسه ميتاً وعاد جثة (Corps)[12]يومئ القرآن الكريم إلى أبعد من هذا تحديداً حينما جعل الإنسان حقيقة واحدة، فهو إنسان بروحه وبدنه، وهو إنسان حين مفارقة روحه لبدنه، فمثله كمثل الماء والتراب حينما يكوّنان حقيقة واحدة عند التماسك أو عند الانحلال؛ وقوله تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [سورة السجدة: الآية ١١] فيه دلالة على أنَّ الإنسان هو نفس الإنسان، فإذا اتصلت الروح بجسده فهو حيٌّ، وإذا انفصلت عنه فهو ميت، إذن هو إنسان في الحالين، والنص القرآني يفيد أنَّ الروح التي يتوفاها ويأخذها قابض الأرواح هي التي يعبر عنها بلفظة (وُكِلَ بِكُم)، ويصور هذا الموضوع ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ فهذا الإنسان بالطريق الإعجازي في الخلق إنما كان طيناً لازباً في طول هذه الأرض وعرضها، فلم يكن ذا ذكر فهو غير متعين ولا محدد، وهو حينما صور هذا التصوير البديع، في خلقه

الأول، ولبسته الروح بأمر الله تعالى، عاد إنساناً معلوماً وموجوداً فكان مذكوراً، فهو بالموقف الأول شيء غير مذكور، وهو بالموقف الثاني كيان مذكور، وهذا ما يفسره أهل العلم "كان مذكوراً في العلم، ولم يكن مذكوراً في الخلق[13]" والبعض يقول: "كان شيئاً ولم يكن مذكوراً فالإنسان كان شيئاً في علم الله وتقديره، وإنْ كان معدوماً بعد لم يوجد، ثم صار شيئاً مذكوراً بعد خلقه وتكوينه، سواءً أنظرنا في ذلك إلى الطريق الإعجازي في الخلق، أو الطريق الفطري في التكوين المتسلسل المنظور إليه في قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [سورة التين:الآيتان٤-٥] والدلالة الإعجازية الباهرة أنْ يخلق من هذه المادة الميتة إنساناً متكاملاً في أحسن تقويم ذا هيئة حسنة ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التغابن: الآية ٣] حتى عاد مستوياً في أيام شبابه وقوته، ثم ردّ إلى الكهولة والعجز فتقهقر في خلقه من قوة إلى الضعف ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ١٥].هذا طريق إعجازي محض أنْ يخلق من هذه المادة الميتة إنساناً متكاملاً في أحسن تقويم فكان ذا هيئة حسنة، وصورة مترفة، وروعة نادرة، حتى عاد مستوياً أيام شبابه ونضارته مثلاً، ثم ردّ إلى الهرم والشيخوخة، وورد مورد العجز والكبر، فانحدر في خلقه من قوة إلى ضعف، ومن صفة الوسيم إلى عكسها، ومن جمال الفتوة إلى تلاشي القوة، فبعد أنْ كان ذا هيئة مشرقة وضّاءة استبدلها بالكبر والانحناء والخور"[14].ويقتضي فهم القرآن الكريم، استيعاب وإدراك أنَّ الإنسان قد خلق بإرادة الله تعالى ولطف عنايته خلقاً خاصاً فكان نموذجاً راقياً للتقويم والثبات والكمال، فيستلزم أنْ يتصاعد بروحه وتفكيره وتقديره إلى مدارك العُلا، وهو ما قدره له الله تعالى لو تمثل الشكر لنعمه المتواترة، اعتداداً بهذا العطاء الفياض في الخلق صورة وعلماً وإرادة وتفكيراً واختياراً وإبداعاً، فهو بهذا حريّ بأنْ يرتقي مدارج الرقي بمستواه الخلقي، في كل وجوه الخلق والسلوكيات المعروفة لديه إلى حيث يصبح من أهل السعادة والنّعيم السرمدي الخالد؛ ولكن هذا الإنسان إلا القليل من جنسه قد انحط بنزعاته الوحشية وسلوكه المنحرف إلى نزع معنى الإنسانية عن نفسه فردّ إلى أسفل سافلين، وهو نهاية ما يمكن أن يردّ به الله إنساناً بانحطاطه إلى الدرجات السفلى المخصصة لأهل العذاب والشقاء والانهيار التام، فكتب ذلك الإنسان على نفسه الانحدار والانزلاق في الهوة السحيقة التي كان ينبغي له أنْ يتجنبها ويكون في أمن من مغبتها وتدهورها.

والتحليل المعرفي لمعنى الآية هو الذي يلائم الاستثناء المنقطع بعد الآيتين في قوله تعالى ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة التين: الآية ٦] بدليل أنَّ حكم الخلق التركيبي للإنسان يستوي فيه المؤمن والكافر، الموحد والملحد، الصادق والمنافق، يشهد على ذلك قوله

تعالى ﴿ومَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة يس: الآية ٦٨] و"مَنْ" هنا اسم موصول يفيد معناه العموم إذْ كل معمّر من الناس ينتكس في الخلق[15] ونصغي لخطاب القرآن الكريم لنستمع بخشوع لندائه العالمي وإنْ فصلتنا عنه حقب بعيدة من الزمان، نستوعب صراحته ومجاهرته، بأنَّ الإسلام عقيدة لا ينفرد بها شعب أو مجتمع بعينه، ولا يختص ببلد أو بلاد معينة، بل هو دين ذو قوانين نافذة على الأفراد بمختلف أجناسهم وقومياتهم وألوانهم ولغاتهم، ولا يستلزم لنفوذه حاجزاً بين بني الإنسان، ولا يعترف بأية فواصل وتحديدات إثنية أو إقليمية أو زمنية فهو عام في المكان والزمان يقول الحق تعالى ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ** عَلَى **عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [سورة الفرقان: الآية ١] والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن، لأنَّ سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد كان رسولاً إليهما ونذيراً لهما، وأنه خاتم الأنبياء، ولم يكن غيره عامّ الرسالة إلا النبي نوح عليه السلام، فإنه عم برسالته جميع البشر بعد الطوفان لأنه بدأ به الخلق؛ ومعنى العالمين كل ما خلق الله كما وهو رب كل شيء، وهو جامع كل عالم، ولا واحد لعالم من لفظه لأنَّ عالماً جمع أشياء مختلفة فإنْ جعل عالم لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة؛ وإنما بعث محمد نذيراً للجن والإنس، فلنقرأ نصوص القرآن التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، كي نتعرف على عالمية الرسالة الإسلامية، من عدة وجوه:

الوجه الأول:

نصوص صريحة؛ فالنص الأول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا** كَافَّةً لِّلنَّاسِ **بَشِيرًا وَنَذِيرًا** وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ: الآية ٢٨].

النص الثاني: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام** دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ **وَهُوَ** فِي **الْآخِرَةِ** مِنَ **الْخَاسِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥].

النص الثالث: ﴿**وَأُوحِيَ** إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ **لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ**﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٩].أي كل من يصل إليه بلاغ القرآن، وكل من سمعه في جميع أقطار الأرض، في أي زمن من الأزمان وصل إليه هذا البلاغ.

النص الرابع: ﴿هُوَ **الَّذِي** أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ **الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ** عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٣] وقال تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ** إلا رَحْمَةً **لِلْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧] إنَّ هذه الآيات تدل على عالمية الرسالة الإسلامية في كتابها الخالد التالد "القرآن الكريم" الذي نُزِّلَ على سيدنا النبي محمد تنزيلاً.

الوجه الثاني:

ما يشير إلى عالمية القرآن على لسان غير العرب. فمن أهم الأدلة التي تشير إلى عالمية القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف إيمان حكماء وعلماء الغرب وعلى رأسهم الشاعر جوته الألماني الذي يعدوه أمير شعراء الألمان وقتها، وجوته يسمي القرآن بـ"كتاب الكتب" ويؤمن بنبوة سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يُشبِّهه يعني سيدنا النبي "محمد" بماء الغمام الذي ينزل من السماء ليتكون منه ينبوع يقود الينابيع الأخرى معه، كناية عن الأنبياء الذين سبقوه، نحو إحياء الأرض ونشر الإسلام فيها[16].عندما كبر جوته اتصل بالأديب هردر، فأذكى فيه الغرام بالشرق وتيسرت له بعض ترجمات القرآن، فتأثر بالقرآن أبلغ تأثير، وحفظ منه ما تيسر، واقتبس آيات كثيرة، وظهرت في شعره الأخير الذي أسماه: "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" West-Oestlicher Divan كقوله مثلًا: وهو يحاكي المعنى العام لمفهوم الآية الكريمة ﴿قُلْ للهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٤٢].

فيقول جوته[17]:

قل لله المشرق ولله المغرب

يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وفي راحتيه الشمال والجنوب معًا

وهو الحق

وما يشاء بعباده الحق

سبحانه له الأسماء الحسنى

وتبارك اسمه الحق وتعالى

علوًّا كبيرًا

آمين

وقوله أيضًا:

وينازعني وسواس الغيّ وأنت المغيث

المعيذ من شر الوسواس الخناس

اللهم اهدني في الأعمال والنيات

إلى الصراط المستقيم

وقوله:

وللناس في ترديد أنفاسهم آيتان

من الشهيق والزفير:

هذا يفعم الصدر،

وهذا يفرج عنه.

كذلك الحياة عجيبة التركيب

فاذكر ربك إذا بُليت

واشكر ربك إذا عوفيت.

ومما قاله[18]: إذا كان الإسلام معناه أن نسلم أمرنا لله فعلى الإسلام نعيش ونموت جميعاً.

ويقول أيضاً: كلما قرأتُ القرآن شعرتُ أنَّ روحي تهتز داخل جسمي[19].

ويقول: بحثتُ في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي العربي محمد[20].

وعن لغة القرآن الكريم العربية المجيدة يقول: ربما لم يحدث في أي لغة هذا القدر من الانسجام بين الروح والكلمة والخط مثلما حدث في اللغة العربية وأنه تناسق غريب في ظل جسد واحد[21].

ويقول أيضاً: لا أكره أن يقال عني مسلم[22].

والحقيقة فاهتمام جوته وحكماء ألمانيا بالقرآن الكريم وبالنبي محمد عليه الصلاة والسلام هو البحث عن الحل الأمثل لعلاج الأزمات الأخلاقية في العالم[23].وأنَّ نشر القرآن خارج جزيرة العرب سببه دعوة القرآن الكريم أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذي جاء به محمد سواءً كانوا من العرب أو غير العرب، وبيّن لهم بأنَّ الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله سواه قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام** دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ **وَهُوَ** فِي **الْآخِرَةِ** مِنَ **الْخَاسِرِينَ**﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٥]. بل تجاوزت رسالة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام اليهود والنصارى والبشرية بأكملها فلم تقتصر على عالم الإنس فقط بل تعدت ذلك إلى عالم الجن أيضاً؛ قال تعالى ﴿**قُلْ أُوحِيَ** إِلَيَّ أَنَّهُ **اسْتَمَعَ** نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ **فَقَالُوا** إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ **فَآمَنَّا** بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [سورة الجن: الآية ١]. وقال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٢٩].

الوجه الثالث:

خطابات القرآن الكريم ونداءاته العامة: إنَّ القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطابه للناس غير مقيدة بشيء، وهذا دليل واضح على أنَّ خطاباته وتوجيهاته تعم الناس كافة؛ والقرآن هو وحي الله لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وفيه أحكام الإسلام وهذا دليل على أنَّ الإسلام لجميع البشر

بل للإنس والجن وأمثلة لذلك قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلًا طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** إِنَّهُ **لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦٨] وقوله تعالى ﴿يَا **أَيُّهَا** النَّاسُ **اعْبُدُوا** رَبَّكُمُ **الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ** مِنْ **قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [سورة البقرة: الآية٢١]. وغيرها من الآيات كثير؛ فهو يخاطب الناس جميعاً بقوله يا أيها الناس؛ ولم يقل يا أيها العرب[24].

الوجه الرابع:

القوانين والتشريعات القرآنية عالمية لأنها من محتويات الإسلام، والإسلام رسالة عالمية والإسلام يعتمد في جميع أحكامه وتشريعاته؛ وما يخص الإنسان في معاشه ومعاده على طبيعة الإنسان التي يتساوى فيها جميع البشر؛ ولا يجد الباحث مهما أوتي من مقدرة علمية كبيرة فيما جاء به نبي الإسلام أي طابع إقليمي، أو صبغة طائفية، وتلك آية واضحة على أنَّ دعوته دعوة عالمية لا تتحيز إلى فئة معينة، ولا تنجرف إلى طائفة خاصة؛ فالعبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها؛ كلها ليس فيها صبغة الطائفية والإقليمية بل تكتسي بالصبغة العالمية؛ لأنها تناسب الإنسان وطبيعته فهي الصالحة له دون سواها. وكذلك النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي وغير ذلك؛ لا تجد في ثنايا أياً منها أي تفكير طائفي أو نزعة إقليمية؛ فمثلاً في المعاملات وما يترتب عليها من مقاضاة بين الناس يأمر الله سبحانه وتعالى المسلم أينما وجد زماناً ومكاناً؛ قائلاً ﴿إِنَّ **اللّهَ يَأْمُرُكُمْ** أَن **تُؤدُّواْ** الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ** أَن **تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾ [سورة النساء: الآية ٥٨] بينما نجد غير المسلمين تتجسد الطائفية والنزاعات العرقية فيهم بوضوح، فهؤلاء اليهود كما يخبر عنهم الله عز وجل حين يتعاملون مع غير من ينتمي إلى دينهم فيقول عنهم سبحانه وتعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧٥].

الوجه الخامس:

الإسلام ينبذ أي مقومات للتفرقة بين الناس؛ إنَّ أقوى دليل على أنَّ الإسلام رسالة عالمية مكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية؛ فالإسلام لا يفرق بين أبيض و أسود ولا بين جنس وآخر، بل ينبذ العنصرية والطائفية، ويرفض فكرة جعلها مقياس للتفاضل في ميزان الإسلام والمقياس الوحيد للتفاضل في الإسلام هو التقوى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣]. فالإسلام هو أول من حارب العصبية ودعا إلى الأخوة تحت لواء التوحيد الخالص ومقتضاه الإسلام. لقد بانَ لنا مما سلف تبوء القرآن الكريم القمة الشامخة في حياة الإنسانية، وما زالت تعليماته الهادفة تنطلق مع الإنسان في مسيرته الواعية، فهو نبع ثرٌّ من المعارف لا يغور، وهو ألقٌ حيٌّ من الفضائل لا يخبو، وهو يجمع إلى عمق النهج

الديني أروع مظاهر النهج الفني، فيلتقي هذان الرافدان بقدر يعجز معه تفكير البشر على أنْ يأتي بشيء من مثله، وكلما تقدمت الحضارة شوطاً في المعرفة والوعي أدركت في القرآن ما لا يدرك في سواه، ذلك أنه كلام الله المنزل على نبيه المرسل[25].وأهل العلم وحقائق التفسير أولئك وحدهم الذين يصح لهم فنياً خوض غمار هذا البحر المتلاطم الأمواج، فيغوصون إلى أعماقه البعيدة ملتقطين غرر جواهره، ومكتشفين كنوزه الثمينة ومع مسيرة الأجيال المتفتحة يتبلور الجديد النابض من عطاء القرآن الكريم، ويتمحور المجهول في كشوفه الإبداعية، فتتقاطر الأسرار الالهية زاخرة بالمثل العليا.

المحور الثاني: الكون في البُعد العالمي للقرآن.

يكشف هذا المحور عن سمو النص القرآنى المتعلق بالربط الجدلي بين الإنسان والكون، وعلوه فوق ما نعدّه اليوم من حقائق العلم؛ وتقديم خدمة جليلة للعلم ذاته من خلال مراجعة وتصحيح مداخله لتتسق مع النصوص القرآنية ذات الصلة؛ كما يهدف المحور إلى توضيح الرؤى العلمية الثاقبة لمفسري القرآن الكريم والتي يجدر بعلماء الكون والفلك اليوم أنْ ينزلوها على مجريات تقنيات العصر الذي يسابق الريح للوصول إلى الاختراعات والمكتشفات في كون الله تعالى المدهش والعجيب؛ كما يتبين بأنَّ الرسوخ فى علوم الكون تستلزم استخدام نفس المفاهيم القرآنية؛ وقد تبين أنَّ تلك الحقائق القرآنية العلمية هى الأساس الذى يقوم عليه ذلك العلم؛ وقد بيّنت مثل هذا الأمر في المحور الأول حكايةً عن العالم الفرنسي(بوكاي موريس) وقصته معروفة وشائعة في الأوساط العلمية.وزادنا في هذا المحور قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلقِ السمواتِ والأَرضِ وَاختِلافِ الّيلِ وَالنَّهارِ وَالفُلكِ الَّتي تَجري فِي البَحرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ فأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَةٍ وَتَصرِيفِ الرّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَرِ بَينَ السَّماءِ وَالأَرضِ لأَيَاتٍ لِّقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦٤].وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحقائق العلمية المتعلقة بمولد الكون وتطوره عبر الزمن ونهايته لا يمكن أنْ نتوصل إليها إلا من الخالق عز وجل بمعنى ما ورد بهذا الخصوص في القرآن الكريم؛ وبالتالي فإنَّ القرآن الكريم هو المصدر المعتمد فى بيان حقيقة الخلق، وأقصد هنا حقائق الإنسان والكون؛ ومن درر القرآن التى يتفضل بها على العلم الحديث: فتق الرتق، ودخان السماء، وبناء السماء، وحبك السماء، ملكوت السموات والأرض، وتعدد العوالم، وتفصيل معالم مصير السماوات والأرض والحياة؛ ومن اللطيف أنْ يناقش علماء الكون نفس القضايا العلمية التى تناولها القرآن الكريم بالإشارة والتصريح، وأيضا نفس الفهم الذي قدمه المفسرون حول تلك القضايا في وقت مضى لم تعرف فيه علوم الكون والفلك على النحو الذى نعرفه اليوم؛ ومن روائع الإعجاز العلمى[26]فى القرآن الكريم أنْ نجد تاريخ الكون منذ مولده حتى نهايته مسطرا فى ثمان آيات محكمات؛ وستظل إشارات القرآن الكريم حقائق خلق السماوات والأرض منارات تهدي العلماء إلى فهم

التاريخ الكوني فهما صحيحا؛ وتضم تلك الآيات آية واحدة تتحدث عن مولد السماوات والأرض "الكون" في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية٣٠] وآية أُخرى تشير إلى اتساع السماء وهى قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: الآية٧] وأربع آيات فصلت ثلاث مراحل لتطور السماوات والأرض "العالمين" وردت فى قوله ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ *فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة فصلت: الآيات٩-١٢] وأخيرا آيتان تصفان نهاية الأرض بالقبض والسماوات بالطيّ هما قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر:الآية ٦٧] وقوله تعالى فى وصف مآل السماء ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية١٠٤] وتمثل تلك الآيات براهين قاطعة يوجب اقتفاء أثرها في علوم الكون والفضاء، ولذلك يجب أنْ تتصدر الآيات السابقات المباركات أي حديث عن الكون وتاريخه[27] ومفردات مثل بناء السماء؛ وحبك السماء؛ ورجع السماء وغيرها من كلمات القرآن الواردة فى هذا الشأن؛ وليس استخدام نفس المفردات القرآنية فى وصف الظواهر الكونية رفعاً لشأن القرآن الكريم وتأثيل لمعارف إسلامية ورد ذكرها في القرآن الكريم وكفى بهما غايتان عظيمتان؛ بيد أنَّها من باب أنَّ المفردات العلمية ليست دقيقة بالقدر الكافى مقارنة بالمفاهيم القرآنية التى تعبر عن حقائق لأشياء لم ير الناس خلقها؛ بالإضافة إلى أنَّ مفردات القرآن فى هذا الشأن تصحح للعلماء ما اختلفوا فيه وتوحد جهودهم؛ وتفتح أمامهم نافذة على علوم المستقبل فى علوم تاريخ الكون والإنسان والفلك؛ ولو أنهم كتبوا المفاهيم القرآنية ثم تجولوا بين المجلات العلمية وشبكة المعلومات الدولية لوجدوا بأنَّ العلماء يستخدمون ألفاظ قرآنية كما ورد فى القرآن الكريم؛ مما لاشك فيه أنَّ القرآن كتاب هداية وتشريع ولكنه كتاب استقراء لأسرار الكون، والطبيعة بجبالها وبحارها، ومفاوز الفضاء، ومسالك ما تحت الأرض، وهو أيضاً المصدر الدقيق لتاريخ الديانات السماوية، وحياة الرُسل والأنبياء والشهداء والصدّيقين، كما أنَّه النموذج الريادي في استيعاب مشكلات الأزمنة المتناقضة سلباً وإيجاباً، يصف حلولها، ويوفر علاجها[28].

ولنزيد الفكرة وضوحاً بالرجوع إلى آياتٍ مبيّنات لعظمة الكون ومنها قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[سورة الرعد: الآية٢] وقال تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[سورة لقمان: الآية ١٠].فَقَوْلُهُ: بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ: أَنَّهُمْ: قَالُوا:

لَهَا عَمَد وَلَكِنْ لَا تُرَى، وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ الْقُبَّةِ، يَعْنِي بِلَا عَمَدٍ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِالسِّيَاقِ، وَالظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة الحج: الآية ٦٥] فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: تَرَوْنَهَا تَأْكِيدًا لِنَفْي ذَلِكَ، أَيْ: هِيَ مَرْفُوعَةٌ بِغَيْرِ عَمْدٍ كَمَا تَرَوْنَهَا، هَذَا هُوَ الْأَكْمَلُ فِي الْقُدْرَةِ[29] ". واختلف العلماء في قوله: (تَرَوْنَهَا) على قولين:أحدهما: أنَّ لها عمداً ولكننا لا نراها، كما يشير إليه ظاهر الآية، وممن روى عنه هذا القول ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وروي عن قتادة أيضاً: أنَّ المعنى أنها مرفوعة بلا عمد أصلاً، وهو قول إياس بن معاوية، وهذا القول يدل عليه تصريحه تعالى في "سورة الحج" آنفة الذكر في أنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض. فعلى هذا يكون قوله: (تَرَوْنَهَا) تأكيداً لنفي ذلك، أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة. والظاهر أنَّ هذا القول من قبيل السالبة [أي: القضية السالبة في علوم المنطق]؛لا تقتضي وجود الموضوع، والمراد: أنَّ المقصود نفى اتصاف المحكوم عليه بالمحكوم به، وذلك صادق بصورتين:

الأولى: أنْ يكون المحكوم عليه موجوداً، ولكن المحكوم به منتفٍ عنه، كقولك ليس الإنسان بحجر، فالإنسان موجود والحجرية منتفية عنه.

الثانية: أنْ يكون المحكوم عليه غير موجود، فيعلم منه انتفاء الحكم عليه بذلك الأمر الوجودي، وهذا النوع من أساليب اللغة العربية، وعلى هذا فقوله ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي لا عمد لها حتى تروها[30].

وقال آخرون: أي: ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد، لرأيتموها[31]، وَجُمْلَةُ تَرَوْنَهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ السَّماواتِ، أَيْ لَا شُبْهَةَ فِي كَوْنِهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ. وزبدة القول فأهل العلم اختلفوا في توجيه الآية على قولين:

الأول: أن لها عمداً، لكن لا يراها الناس، وهذا من آيات العظمة، ودلائل القدرة: أنْ يكون لهذا الخلق العظيم، عمدا ترفعه ، ثم لا يراها الناس.

والقول الثاني: أنها لا عمد لها أصلاً؛ فلو كان لها عمد لرآها الناس، وإنما رفعها، وأمسكها عن السقوط بقدرته عز وجل. والتعبير بما جاء في الآية جار على سنن العربية، ومقاصدها البلاغية، وهو معروف له نظائر في لغة العرب. وهذا هو أظهر القولين في الآية؛ وسبحان الله! كيفما فهمنا الآية يبقى الإعجاز مستمراً، وهذا يدل على أنَّ هذه الآية تنزيل من حكيم خبير ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود: الآية ١]. بينما نجد في الكتب التي كانت سائدة زمن نزول القرآن معلومات كونية خاطئة؛ فقد كان الاعتقاد خاطئ مستندين لما انتشر من خرافات وخزعبلات أبطلها الإسلام العظيم وكتابه العظيم بهذه المعلومات المتقنة والمستفيضة، ولم يكن لأحد علم بوجود أعمدة غير مرئية

تربط أجزاء الكون وهي قوى الجاذبية[32]!فيوحي لنا هذا المنظور الكوني بعالمية القرآن، وهذا الفهم الرصين لمناخ القرآن يقضي بإنسانية رسالته بعيداً عن النظرة الإقليمية الضيقة وهذا الواقع المعاصر في تقييم القرآن هو الذي يؤكد حقيقة الصيغ العالمية في مفاهيم القرآن[33].وبالقرآن العربي انتشر الإسلام في بقاع الأرض من مشرقها إلى مغربها، فلا يعرف العالم قرآناً غيره، وسيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه يقول: تعلَّموا العربية فإنَّها من دينكم[34] ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأنَّ القرآن وإنْ كان عربي النص إلا أنه عالمي الدلالة، وهو وإنْ كان إنساني الرسالة إلا أنه عربي العبارة[35] وهو مع هذين الضلعين التكوينيين يبقى شامخاً بلمح من عروبته المحضة الفصحى، لأنَّ عروبته الخالصة يكمن فيها الكثير من معالم إعجازه؛ ومن تلك الألوان الإعجازية يترشح نظام الإعجاز الكلي في القرآن[36].ولما كان الإعجاز بهذا المستوى التكاملي في شتى المجالات كان القرآن بالمستوى العالمي في بعده الموضوعي.وكتابٌ هذا شأنه، كان ينبغي لو أنه ظهر في الأرض ولم ينزل من السماء؛ أنْ يتأثر تأثراً ما، من حيث مبادئه وأفكاره، بنزعة البيئة أو الإقليم أو القوم الذين ظهر بينهم وجاء بلغتهم، كما هو الشأن لعامّة الكتب والمؤلفات الأُخرى[37].ولكننا لا نلمس إلا السمة الإنسانية، فهو في كل ما يصدر عنه من عقيدة وأخلاق ومعاملات وتشريع وعِظات، إنما يقدم من ذلك كله ثوباً قد فُصِّلَ على قدر الحقيقة الإنسانية كلها أينما وُجِدَتْ وكيفما تنوعَتْ، ومهما نظرنا في هذا الثوب، فلن نجد فيه أيّ مظهر لطابع البيئة أو القبيلة، سواء في شكله أو جوهره؛ وهذا ما يعنيه أهل العلم عندما وصفوا القرآن الكريم بأنه: إنساني النزعة في كلٍّ من موضوعه وأسلوبه[38] وهذا هو البُعد العالمي الذي هو محور مستفيض من محاور البحث العلمي المتجدد.ولنمحص عالمية القرآن الكريم ضمن الإشارة والإدراك في أمورٍ، ومنها:

١. **المسألة الأُولى**: إنَّ عالمية الإسلام تعني بالضرورة عالمية القرآن، وذلك أنَّ القرآن هو رسالة الإسلام، وهذه العالمية المبرمجة قد رسمها القرآن نفسه في كل آياته التي تشير إلى عالمية رسالة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام في بعثته للبشرية جمعاء؛ قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٨] والآية في مقام الأمر لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، في إشعار الناس كافة بالقول لهم أنه رسول الله إليهم، ومعنى هذا عالمية رسالته، واستقطابها شعوب الأرض ومختلف الأُمَم، فسيدنا النبي محمد بهذا رسول الله إلى الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وهؤلاء هم الناس ورسالته شاملة لأفرادهم، مستغرقة لأجناسهم دون اختصاص بقوم عن قوم، ولا أُمَّة دون أُمَّة، يعضده قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ: الآية٢٨] فإذا ما أضفنا قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧] خلص لنا أنه رسول البشرية، وما إرساله إلا رحمة للعالمين، وهذا الإرسال يحمل في طياته ملامح التبشير والإنذار؛ ذلك ما يوضحه قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١١٩] ويؤكده قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٤٥] وهنا زيادة الشهادة إلى الإنذار والتبشير لتتم حلقة الوصل العالمية في التدرج البياني ليصل إلى ذروته في التبليغ بقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: الآية ٧٩] وقد وضع الله تعالى على الناس ذاته القدسية شهيداً على هذا الإرسال العالمي.

٢. **المسألة الثانية**: والمنطلق الظاهر في إبراز عالمية القرآن الكريم روحاً ونصاً تأكيد القرآن على خطاب الناس[39] في تعليماته الالهية؛ وهذا المنطلق يتحدث فيه القرآن إلى الناس في مختلف شؤونهم، ويدعوهم بعامة إلى الأخذ بالأصلح من الأنظمة إزاء تدوير الواقع البشري الغير مستقر ليقف به على مرفأ الأمان، ويستقر مستوياً بشاطئ الخلاص، وأول ما يدعوهم إليه سنن التوحيد المطلق في ظلال ملكوته؛ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١] يدعم ذلك الموقف بالكتاب الذي أخرج كل الناس إلى النور ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ١] ويوجه هؤلاء الناس نحو الله لكونهم مضطرين له، فقراء إليه، وهو في غنى وعز ومنعة عنهم، يُحمد بغناه، ويعبد لآياته ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: الآية ١٥] وإذا كان الناس محتاجين ولا يحتاج إليهم، فحريٌ بهم أنْ يتجهوا نحو الله في الشؤون والشجون والآمال[40] ولا يتكلوا على الأحلام والأماني، فوعد الله حق، ووعد غيره الباطل؛ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [سورة فاطر: الآية ٥] ولا يقف القرآن الكريم عند هذا الحد في تذكير الناس وتحذيرهم، وتقويمهم ومتابعتهم، بل يتسع في الحديث إليهم، بما خولهم به الحياة الدنيا، وما أسبغه عليهم من النعيم، وما سخره لهم من أكوان وأديان وظواهر تصب في محيط واحد هو سعادة الناس في دنياهم، وسلامتهم من الأهوال في أُخراهم[41]، كل أولئك يتمثل في موارد قرآنية نذكر بعضها:

١.الايحاء بإدراك نعم الله التي لا تحصى، والتذكير بآلائه التي لا تستقصى، بما في ذلك النعم المادية والمعنوية؛ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة فاطر: الآية ٣] وقال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٣١] وقال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣] وقال تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٧] وقال تعالى ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ١١٤] وقال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل: الآية ١٨] وقال تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان: الآية ٢٠] وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الاسلام دِينًا﴾ [سورة

المائدة: الآية ٣] هذا التأكيد في الخطاب القرآني على إسباغ النعمة يوحي بعظمة قدرها، وشيوع مفرداتها، وشمول ظلالها للناس كافة[42].

٢. لقد خلق الله من الأرزاق الكائنة فيما تنبت الأرض، وما يخرج منها، وما يربو فيها، وما باركه من ثمرها وشجرها ومرافقها وأنهارها ومناخها مما جعله مسخراً للإنسان لتيسير مرافق الحياة، وهو الذي يسره وسخره وفجره وجعله سائغاً هنيئاً مريئاً قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦٨] وقال تعالى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٦٠] وقال تعالى ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٦٧] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٠] وقال تعالى ﴿وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الجاثية: الآية ٥] وقال تعالى ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود: الآية ٦] وقال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [سورة هود: الآية ٦١] وقال تعالى ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾ [سورة الرعد: الآية ٤] وقال تعالى ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [سورة النحل:الآية ١٣]إنَّ هذا التأكيد على الأرض وما أخرج منها إنما يكون للبشر كافة فهو الذي أنشأهم منها، وهو الذي رزقهم فيها، وهو الذي سخرها لهم.

٣. لقد حذر الله الناس من الظلم في الحياة الدنيا، وأنذرهم العذاب في الحياة الآخرة، ووجه العناية بهذا الوجه ليكف الناس عن الباطل، وليتوجه الجميع نحو الحق[43] قال تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [سورة النحل: الآية ٦١] وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [سورة الفرقان:الآية ٢٧]وقال تعالى ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١١] وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [سورة هود:الآية ١٠٢]وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩٣] وقال تعالى ﴿ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٤٢] وقال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [سورة القصص: الآية ٥٩] وقال تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٧٠] وقال تعالى ﴿واللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٨٦] وقال تعالى ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٤٤] وقال تعالى ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: الآية ٣٩] وهذا التأنيب على الظلم، والوصف له، والتحدث عن مآله لا يخص مجتمعاً دون آخر، ولا يختص بأُمَّة دون أُمَّة، فهو موجه للناس كل الناس للابتعاد عن ممارسته ومهالكه.

٤. ويتحدث القرآن عن الظواهر الكونية، والآيات السماوية ويجعل من ذلك مناراً لأولي الألباب، وحديثاً لأولي البصيرة النافذة[44] فيقول عز وجل﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٩١] وقال تعالى ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الرعد: الآية ٢] وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الرعد: الآية ٣] وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾ [سورة الرعد: الآيتان ١٢-١٣] وقال تعالى ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: الآية ١٠١] وقال تعالى ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: الآيات ٣٧-٤٠] وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٨٩] إنَّ الدلالات في عالم السموات والأرض والعرش والشمس والقمر ومدّ الأرض وخلق الرواسي وأصناف الكائنات والثمرات وحياة الشمس والقمر والأهِلَّة، وما سخره الله للناس بعامة، وللمؤمنين بخاصة بقصد الاعتبار والاستبصار مفرق الطريق بين الاعتبار في السنن الكونية وبين إهمالها؛ قال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هذا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٣٧] إنَّ القرآن ليربط ماضي البشرية بمستقبلها، ومستقبلها بماضيها وهؤلاء العرب الذين وجه إليهم القول أول مرة لم تكن حياتهم، ولم تكن معارفهم، ولم تكن تجاربهم- قبل الإسلام- لتسمح لهم بمثل هذه النظرة الشاملة؛ لولا هذا الإسلام والقرآن الكريم الذي أنشأهم به الله تعالى نشأة أُخرى، وجعل منهم أُمَّة تقود الدنيا؛ فالنظام القبلي الذي كانوا يعيشون في ظله، ما كان ليقود تفكيرهم إلى الربط بين سكان الجزيرة ومجريات حياتهم فضلا على الربط بين سكان هذه الأرض وأحداثها، إلى ذلك الربط بين الأحداث العالمية والسُنن الكونية التي تجري وفقها الحياة جميعا؛ وفي هذا نقلة بعيدة لم تنبع من البيئة، ولم تنشأ من مقتضيات الحياة في ذلك الزمان؛ إنما حملتها إليهم هذه العقيدة فحسب؛ بل حملتهم إليها وارتقت بهم إلى مستواها، في ربع قرن من الزمان[45] على حين أنَّ غيرهم من معاصريهم لم يرتفعوا إلى هذا الأُفق من التفكير العالي إلا بعد قرون وقرون ولم يهتدوا إلى ثبات السُنن والنواميس الكونية، إلا بعد أجيال وأجيال؛ فلما اهتدوا إلى ثبات السُنن والنواميس نسوا أنَّ معها الإرادة الإلهية، وأنه إلى الله تعالى تسير الأُمور؛ فأما هذه الأُمَّة المختارة

فقد استيقنت هذا كله، واتسع تصورها، ووقع في حسها التوازن بين ثبات السُنن والإرادة الأزلية، فاستقامت حياتها على التعامل مع سنن الله الثابتة والركون بعد هذا للقضاء والقدر ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٣٧]تلك المشيئة التي تحكم الحياة؛ والتي قررتها المشيئة المطلقة؛ فما وقع منها في غير زمانكم فسيقع مثله– بمشيئة الله تعالى في زمانكم، وما انطبق منها على مثل حالكم فهو كذلك سينطبق على حالكم[46].

الخاتمة

ومن نتائج هذه الدراسة أنَّ القرآن سخر الكون للإنسان لأنهما (الكون والإنسان) الضلعان الذهبيان لرقي العالم وسعادة البشرية؛ وأنَّ عالميته كامنة في جملة أمور منها المنظومة الأخلاقية التي من خلالها تعيش البشرية بسلام وأمان إنْ هي اقتفت أثر الشريعة السمحاء، وكذلك فالاهتمام بالإعجاز العلمي ومعطيات عصرنا الحاضر من لوازم برهنة عالمية القرآن الكريم، وأنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يصلح للدين والدنيا وأنَّه يواكب الحضارة ومعطيات العلوم الكونية وكل شيء تنفيذا لإرادته الأزلية ﴿مَّا فَرَّطنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣٨] وقد برهن العلماء إثبات أنَّ النظريات العلمية الفيزيائية والفلكية وغيرها لا تعارض أُصول الإسلام، وقد أبلوا بلاء حسناً.

إنَّ قدرات لغتنا العربية التي سبق لها أنْ دخلت المضمار الحضاري قديماً بسبب– عالمية القرآن الكريم– فانتصرت في ذلك المضمار، وكانت الوجه المشرق للهوية العربية والإسلامية على مر العصور؛ وتوصلاً لصحة مقولة عالمية القرآن الكريم أقول: عندما واجه القرآنُ العربَ بهذا التحدي أول مرة لم يكن لهم مما يدلّون به ويعتقدون لأنفسهم فيه المكانة والإبداع والتمكن إلا بيانهم ولغتهم وفصاحتهم وبلاغتهم، فأعجزهم القرآنُ وبهرهم في شيء اعتقدوا أنهم يمتلكون ناصيته؛ ومن هنا فإنَّ كل ما سطره العلماء في شرح وتفصيل بلاغة القرآن وروعة بيانه ومفارقته لبيان البشر وما كان من شأن العرب لما سمعته أول مرة، أمر مسلّم ينبغي أنْ لا يكون موضع خلاف؛ ولكن المهم هنا أنَّ حصر ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [سورة الطور: الآية ٣٤] التي وقع بها التحدي القرآني بالبيان والبلاغة هو حصر لما كان عليه القوم من انبهار بلغتهم وفصاحتهم التي لا تضاهى ولا تبارى، ويقول أبو هلال العسكري البلاغة العربية نعم للعرب هذا صحيح ولكن ماذا نقول للإفرنجي والفارسي والهندي والصيني الذين لا يفهمون العربية، ونحن الآن في عصر تكنولوجيا المعلومات والثورة الرقمية الهائلة؛ أرى الانتفاع بمعطياتها ونتائجها الإيجابية الباهرة، من خلال توسعة الآفاق توصلا لعالمية الرسالة.لقد توجه كثير من الباحثين على مر العصور إلى القرآن يمحصّون فيه كل ما يخطر في بالهم من قضايا في إطار اختصاصهم وما تمرّسوا فيه وأتقنوه، فما رجعوا إلا مستسلمين مذعنين؛ ومن هنا ذكر كثير من العلماء أبواباً من

الإعجاز للقرآن الكريم لا تنحصر في قضايا اللغة والبيان، والعلوم الصرفة، والإعجاز بكل ألوانه فيما يثبت أنَّ نمط القرآن وطريقة عرضه وتناوله لهذه الأمور مختلف ومفارق لما عهده البشر في محاولاتهم للتدوين والتأليف في هذه الموضوعات والأبواب من المعرفة، وهذا هو مربط الفرس في تناول علماء البيان ليثبتوا مفارقة بيان القرآن لبيان البشر. وقد فتح الله على المسلمين في هذا العصر من أبواب الفهم لعجائب القرآن وأسراره ومواطن التدبر فيه بما لم يخطر للأقدمين على بال مما لم يكن عندهم من الأدوات والوسائل لمعرفته والبحث فيه؛ وذكرتُ نخبة منهم في النصوص السابقة من المقالة ولا ضير من تكرار أسمائهم الكريمة: الدكتور حميد مجول النعيمي، والدكتور فاروق الباز، والدكتور زغلول النجار، والدكتور نضال قسوم، والدكتور علي منصور كيالي، ومن الغربيين الدكتور موريس بوكاي الفرنسي، ومن الأدباء والشعراء والحكماء في العصور السابقة المنبهرين بعالمية القرآن الشاعر الألماني جوته، وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هؤلاء العلماء لا يبحثون في قضايا لغوية أو بيانية وإنما يدورون في فلك آخر يعتمد المعاني والقضايا والتوجهات ويصل الجميع إلى النتيجة الوحيدة والتي تنطق بها كل الشهادات وهي أنَّ تحدي القرآن قائم وأنَّ قدرة البشر على الاستجابة ومقابلة التحدي بكل مجالاته أمر خارج عن الإمكان، وأنه عالمي وليس قومي أو قطري.

ومن الله التوفيق والهداية وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين والصلاة وأتم التسليم على نبي الرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

[2] فاروق الباز، المصدر محمد عبد المقصود– دبي موقع www.emaratalyyoum.com . 2014 تاريخ التصفّح ٢٠١٦/٣/١٤.

[3] في سورة الحجر ٨٥ . الأحقاف ٣.الروم ٨. الدخان ٣٨.ق.٣٨. المائدة في الآيتين ١٧و١٨. مريم ٦٥. الأنبياء ١٦. الفرقان ٥٩. الشعراء ٢٤. السجدة ٤. الصافات الآية ٥. سورة ص الآيات ١٠و٢٧و٦٦. الزخرف٨٥.الدخان٧. النبأ٣٧. طه٦.

[4] رواه أبو الشيخ قال : حدثنا الوليد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا حجاج، حدثنا حماد، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أبو الشيخ عبد الله أبو محمد بن محمد بن جعفر بن حيّان الأنصاري، كتاب العظمة، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الرياض، الناشر دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ج٢/ص٦٨٨-٦٨٩، وروى جزءا منه الإمام الدارمي

في نقضه على بشر المريسي، انظر سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، عن موسى بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، تحقيق حسين سليم أسد، الرياض، دار المغني، وبيروت، دار ابن حزم ١٤٢١هـ، ج١/ص٤٢٢،. ورواه أحمد بن مروان الدينوري بسنده، في "المجالسة وجواهر العلم" بيروت، الناشر دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ، ج٦/ص٤٠٦، واللالكائي أبو االقاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، بسنده، في "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة" تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط٨، ١٤٢٣هـ، ج٣/ص٣٩٥-٣٩٦، وغيرهم؛ كلهم من طريق عاصم بن بهدلة. وعاصم صدوق، وقد وثقه جماعة، وحسّن حديثه آخرون. وقال الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، في ميزان الاعتدال في نقدا لرجال تحقيق محمد رضوان عرق سوس، دمشق، مؤسسة الرسالة العالمية ١٤٣٠هـ، ج٢/ص٣٥٧، هو حسن الحديث. وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية-الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، ج٢/ص٢٥١.

[5] الجاذبية الأرضية، انظر معجم أكسفورد الحديث، المملكة المتحدة، UK. ط٣، ٢٠٠٦، ص٣٤٦.

[6] الكون، المرجع نفسه، ص١٧٥.

[7] www.almaany.com/quran/1/2/ . موقع المعاني، تاريخ التصفّح ٢٠١٦/٣/١٤.

[8] العالمين Meaning of، The universe,world,worlds الكون، قاموس أكسفورد الحديث، ص٨٣٦. مرجع سابق.

[9] عبد الغني محمد بركة، تطور دراسة الإعجاز القرآني على مرّ العصور، مقال منشور بالتعاون مع جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة-مصر،القاهرة على رابط-quran-m com/quran/article/2122تاريخ التصفّح ٢٠١٦/٣/١٤.

[10] موريس بوكاي، القرآن الكريم، والتوراة والإنجيل والعلم- دراسة الكتب المُقدسة في ضوء المعارف الحديثة، القاهرة، دار المعارف، ١٣٩٨هـ، ص٢٧١.

[11] محمود شكري الألوسي، روح المعاني،بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٦هـ، ج١٢/ص٢١٤.

[12] المرجع نفسه،ج١٥/ص١٦٧.وانظر شاكر عبد الجبار، القرآن إعجاز يتعاظم، القاهرة، مطبعة الحوادث، ١٩٨٥م، ص٨١.

[13] جثة، انظر معجم أكسفورد الحديث، ص١٧٤. مرجع سابق.

[14] ومنهم الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ج١٢/ ص٦٣٨.

[15] الآلوسي، روح المعاني، ج١٥/ص٣٩٤.

[16] الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشّاف، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٢٧هـ. ج٤/ص٢٥. وانظر عبد العال الحماصي، القرآن معجزة كل العصور وموضوعات أخرى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٧م، ص٨١.

[17] بريجيتا أوبرله، أُنشودة محمد، منشورات عالم المعرفة، الكويت، فبراير ٢٠٠٢ العدد ٢٧٨، ص١٨٢

[18] إبراهيم العريس، الديوان الغربي–الشرقي، لغوته– سيرة الشاعر من خلال ولعه بالدين الإسلامي، www.alhayat.com تاريخ التصفّح ٢٠١٦/٣/٢١.

[19] عبد الرحمن صدقي، الشرق والإسلام في أدب جوته، القاهرة، المكتبة الثقافية، دار القلم، ١٩٩٠، ص١٠.

[20] أحمد معوض، أضواء على جوته، القاهرة، الدار العربية، ١٩٨٢م، ص٧١.

[21] مومسن كاترينا، جوته والعالم العربي، ترجمة عدنان عباس عليّ، مراجعة عبد الغفار مكاوي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، عالم المعرفة، ١٩٩٥. ص٣١.

[22] العقاد، عباس محمود، تذكار جيتي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص٥٤.

[23] عبد المنعم شمس، شاعر القصر الأزرق يوهان فولفجانج فون جوته، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٦٦.

[24] Boyle Nichholas: The Poet and The Age. Vol.1. The Poetry of Desire.Oxford.Clarendon University Press 1991.

[25] عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، عمّان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨١م، ص٦٧.

[26] عبد الرحيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مصر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي. ص٦٥.

[27] منصور حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي في القرآن، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م، ص٨٧.

[28] موفق دعبول، العربية ولغة العلم، الماضي والحاضر والمستقبل،ضمن ندوة اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المنعقدة في البحرين، ١٩٩٥.

[29] بن عيسى باطاهر، الدور الحضاري للعربية في عصر العولمة، الشارقة، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٠.

[30] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ، ج٤/ص٤٢٩.

[31] الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ، ج٣/ص٦٧.

[32] ومنهم: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله التميمي السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الرياض، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ، ط٢، ص٤١٢. وابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج١٣/ص٨٠.

[33] www.kaheel7.comعبد الدائم الكحيل،

[34] مازن المُبارك، نحو وعيٍ لُغوي، بيروت، مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤٠٦هـ. ص١٥.

[35] المرجع نفسه، ص١٦.

[36] محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر،١٤٠٧هـ، ص٦٧.

[37] وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ترجمة ظفر الإسلام خان، مراجعة وتقديم عبد الصبور شاهين، الناشر مكتبة الرسالة، مصر، ص١٢٣.

[38] عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، عمّان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨١م، ص٥٦.

[39] محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، دمشق، مكتبة الفارابي، د،ت، ص٢١٦.

[40] محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص٧٠.

[41] السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني–بيروت، ١٩٧٢م، ص٨٠.

[42] بحوث في الثقافة الإسلامية، تأليف عدد من أساتذة جامعة قطر، ص٢٠٠.

[43] عليّ الجندي، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م، ص٧٦.

[44] محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن الكريم، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ، ص٧٦.

[45] صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، الأردن، دار عمّار، ١٩٨٩م، ص٧١.

[46] مجدي محمد عاشور، السُنن الإلهية في الأُمَّم والأفراد في القرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٧م، ص١٦٠.

[47] المرجع نفسه، ص١٦١.

قائمة المصادر

إبراهيم العريس. الديوان الغرب– الشرقي لغوته– سيرة الشاعر من خلال ولعه بالدين الإسلامي. www.alhayat.com تاريخ التصفّح ٢٠١٦/٣/١٩.

ابن عاشور محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر. ١٩٨٤.

ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. القاهرة. دار الحديث. ١٤٢٦هـ.

أحمد معوض. أضواء على جوته. القاهرة. الدار العربية. ١٩٨٢م.

بحوث في الثقافة الإسلامية. تأليف عدد من أساتذة جامعة قطر. ٢٠٠٢م.

بريجيتا أوبرله.Mahomets Gesang أُنشودة محمد. منشورات عالم المعرفة.الكويت. فبراير ٢٠٠٢ العدد ٢٧٨.

بن عيسى باطاهر. الدور الحضاري للعربية في عصر العولمة. الشارقة. ط١. ٢٠٠١م.

الزمخشري. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشّاف. بيروت. دار الكتب العلمية. ١٤٢٧هـ.

السيد عبد الحافظ عبد ربه. بحوث في قصص القرآن. دار الكتاب اللبناني–بيروت. ١٩٧٢م.

شاكر عبد الجبار. القرآن إعجاز يتعاظم. القاهرة. مطبعة الحوادث. ١٩٨٥م.

الشنقيطي. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٥هـ.

صلاح عبد الفتاح الخالدي. البيان في إعجاز القرآن. الأردن. دار عمّار. ١٩٨٩م.

الطبري. أبي جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. بيروت. دار الكتب العلمية.١٤٢٠هـ.

عبد الجليل عبد الرحيم. لغة القرآن الكريم. عمّان. مكتبة الرسالة الحديثة. ١٩٨١م.

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله التميمي السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الرياض. مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع. ١٤٢٢هـ

عبد الرحمن صدقي. الشرق والإسلام في أدب جوته. القاهرة. المكتبة الثقافية. دار القلم. ١٩٩٠.

عبد الرحيم الزرقاني. مناهل العرفان في علوم القرآن. مصر. دار إحياء الكتب العربية–عيسى البابي الحلبي.

عبد العال الحماصي. القرآن معجزة كل العصور وموضوعات أخرى. القاهرة. دار المعارف. ١٩٨٧م.

عبد المنعم شمس. شاعر القصر الأزرق يوهان فولفجانج فون جوته. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٩.

عبد الدائم الكحيل. www.kaheel7.com

العقاد. عباس محمود. تذكار جيتي. القاهرة. دار المعارف. ١٩٨١.

عليّ الجندي. أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة. ط١. ١٩٥٩م.

مازن المُبارك. نحو وعيٍ لُغوي. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط٣. ١٤٠٦هـ.

مجدي محمد عاشور. السُنن الإلهية في الأُمَم والأفراد في القرآن الكريم. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. ٢٠٠٧م.

محمد التومي. المجتمع الإنساني في القرآن الكريم. الدار التونسية للنشر.١٤٠٧هـ.

محمد الخضر حسين. **بلاغة** القرآن الكريم. الدار الحسينية للكتاب. ١٤١٧هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي. من روائع القرآن. دمشق. مكتبة الفارابي. د.ت.

محمد يوسف الشربجي. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المُعاصرة. مجلة التراث العربي–دمشق. العدد٩٠. ٢٠٠٣م.

محمود شكري الألوسي. روح المعاني. بيروت. دار الكتب العلمية. ط٢. ١٤٢٦هـ.

منصور حسب النبي. الكون والإعجاز العلمي في القرآن. دار الفكر العربي. ١٩٩٦م.

موفق دعبول. العربية ولغة العلم. الماضي والحاضر والمستقبل.ضمن ندوة اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين المنعقدة في البحرين ١٩٩٥م.

موقع http://ar.wikipedia.org/wikil يوهان فولفغانغ غوته.

مومسن كاترينا. جوته والعالم العربي. ترجمة عدنان عباس عليّ. مراجعة عبد الغفار مكاوي. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون. عالم المعرفة. ١٩٩٥.

نذير محمد مكتبي. الفصحى في مواجهة التحديات. الناشر دار البشائر الإسلامية .١٩٩١م.

وحيد الدين خان. الإسلام يتحدى. ترجمة ظفر الإسلام خان. مراجعة وتقديم عبد الصبور شاهين. الناشر مكتبة الرسالة. مصر.د.ت.

Boyle Nichholas. Goethe: The Poet and The Age. Vol.1.The Poetry of Desire.Oxford.Clarendon University Press 1991.